



الأحد 11 مارس 2018 08:03 م

لا شك في أن ديننا الحنيف هو دين اليسر لا العسر ودين السماحة لا الغلو و التشدد , فأيات كتاب الله القرآن وأحاديث خاتم الأنبياء والمرسلين واضحة ووضوح الشمس في رابعة النهار في دلالتها على هذا المعنى , قال تعالى : { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } البقرة/286 وقال تعالى : { ... وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } الحج/78 , وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ( إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا ) صحيح البخاري برقم/39

ومع التسليم بأن الله تعالى لم يكلف عباده ما لا يطيقون ولم يأمرهم بما لا يستطيعون...إلا أن ذلك لا ينفي وجود شيء من المشقة في العبادات والطاعات والتكاليف , إذ لولا ذلك لما سمي التكليف تكليفا , كما أن تضمين التكاليف الشرعية قدرا من المشقة أمر لا بد منه ليميز الله من خلالها الصادقين بمحبتته من عباده من الأذعياء والكاذبين , فمن المعلوم أن حقيقة إيمان العبد لا تظهر إلا من خلال شهادته بالحق والتزامه بأوامر الله سبحانه واجتناب نواهية التي لا تخلو من مجاهدة نفسه ومخالفة شهواته وأهوائه .

حول هذه المعاني دار حديث شقيق بين بعض الأصدقاء في جلسة من الجلسات التي جمعتهم منذ أيام , فذكر أحدهم أنه قد شرع بصيام الأيام الستة من شوال التي جاء الحث علي صياها بعد رمضان بحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ ( مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِنًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ ) صحيح مسلم برقم/2815....مشيرا إلى مشقة الصيام مع موجة الحر الشديدة التي طالت معظم بلاد المسلمين هذه الأيام وتزامنت مع شهر شوال الذي يسن فيه صيام الأيام الستة .

ولعل من أهم ما تم تداوله في هذه الجلسة الطيبة التأكيد على أن المشقة ليست مقصودة لذاتها في دين الله الإسلام , وإنما المقصود الالتزام بأمر الله تعالى ونهيه الذي لا يخلو بطبيعة الحال من مشقة وجهد ومخالفة للرغبات والشهوات .

وقد تناول بعض الحاضرين المقولة المشهورة التي يتداولها كثير من الناس : "الأجر على قدر المشقة" بالتدقيق والتمحيص , مشيرا إلى أنها ليست على الإطلاق كما يظن أغلب المسلمين , بل هي محصورة ومقصورة في العمل المشروع الذي يستلزم المشقة والتعب بطبيعته كما هو الحال في صيام الأيام الستة من شوال التي تزامنت مع شدة الحر في هذه الأيام , فالثواب والأجر قد يكون على قدر المشقة والتعب , لا لكون التعب والمشقة مقصود من العمل وإنما لكون العمل مستلزم للمشقة والتعب .

واستشهد المتحدث على صحة ما يقول بالكثير من الآيات والأحاديث أهمها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : بَيَّنَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا : أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَنْظِلَ وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( مُرَّةٌ فَأَيْتَكَلَّمَ وَيَسْتَنْظِلَ وَيَقْعُدُ وَيَتِيمٌ صَوْمُهُ ) صحيح البخاري برقم/6704

وحديث ابن عباس أيضا أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَحْتَّ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ مَا شِئَتْ قَالَ : ( إِنَّ اللَّهَ لَعَنِي عَنْ نَذْرَهَا مُرَّهَا فَلْتَرْكِبْ ) سنن الترمذي برقم/3299 وصححه الألباني .

وذكر أيضا - في معرض استدلاله على ما يقول - استقراء العلماء لمصادر الشريعة الإسلامية التي تشير إلى أنها لا تقصد الأمر الشاق ولا ترتب عليه كثرة الأجر بالدرجة الأولى , وأردف ذلك بكلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "ومما ينبغي أن يعرف أن الله ليس راضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق, حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل, كما يحسب كثير من الجهال : أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء , لا , ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصالحته وفائدته , وعلى قدر طاعته أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فأبي العاملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل؛ فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة, وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل" . مجموع الفتاوى 25/281

وبمقولة العزّابن عبد السلام : "قد علمنا من موارد الشرع ومصادره : أنّ مطلوب الشرع إنما هو مصالح العباد في دينهم ودنياهم، وليست المشقة مصلحة، بل الأمر بما يستلزم المشقة بمثابة أمر الطبيب المريض باستعمال الدواء المرّ البشع، فإنه ليس غرضه إلا الشفاء". قواعد الأحكام 1/31

آخر من تكلم في المجلس تناول ما يجول بخاطري وخاطر الكثير من الحاضرين ، حيث أكد على أن المشقة التي قد يجدها البعض اليوم في أداء بعض العبادات والطاعات كصيام ست من شوال أو أداء بعض الصلوات في هذا الجو الحار...هي بإذن الله مأجورة ، ولا ينبغي أن تصرف تلك المشقة البعض عن المبادرة على الإقبال عليها بذريعة أن دين الله يسر لا عسر وأن سمة الشريعة الإسلامية السهولة والسماحة لا التضييق والتشديد .....